



السيدة بثينة شعبان هي مستشارة الرئيس السوري بشار الأسد، تجاوزت الستين مثلي، ولكنها تبدو بصحة جيدة، وصوتها جهوري وتملك طلاقة تعبيرية ملحوظة باللغة العربية الفصحى، ولديها قدرة واضحة على تحويل الأنظار عن القضايا المطروحة إلى القضايا التي تريدها هي أو يريدها النظام بمعنى أدق.

أما البوطي، فهو فضيلة الشيخ الدكتور محمد سعيد البوطي، أستاذ الشريعة بجامعة دمشق، وإمام الجامع الأموي العريق، ويعُد من أشهر علماء سوريا الآن، وهو متحدث لبق، ويمتلك قدرة تعبيرية على التحدث في قضايا الشريعة بما يجعله وجهاً مقبولاً لدى العامة والخاصة على السواء، وأذكر أنني تلقّيت منه رسالة في السبعينيات، حول نشر بعض كتبه، وكانت ذات خط جميل يُنبئ عن أناقة صاحبه وتنظيمه، وإن كنت لم ألقه أو أره.

السيدة بثينة شعبان خرجمت على شاشة التلفزيون في مؤتمر صحفي عقب مجزرة درعا ومقتل عشرات من أهلها برصاص النظام السوري الحي؛ لتتلذ على الصحفيين مجموعة من القرارات التي أصدرها الرئيس السوري بشار الأسد تدور حول تسهيل بعض الأمور المعيشية للناس، وأكَّدت السيدة بثينة أنه لا توجد خلافات بين الحكومة والشعب في سوريا (؟)، وأن الإعلام يضخّم الأحداث، وأن أحداث درعا تستهدف وحدة واستقرار سوريا، حيث ذكر ناشطون حقيقيون وشهود عيان أن مائة شخص على الأقل قُتلوا في مدينة درعا يوم الأربعاء 24/3/2011م، على أيدي قوى الأمن السورية بعد اقتحامها المسجد العمري بالمدينة، فضلاً عن مئات الجرحى!

وقد لقي سلوك السلطة السورية استهجاناً من أصحاب الضمير ودول العالم المؤثرة بدءاً من الولايات المتحدة حتى تركيا، وهو ما حاول الرئيس السوري استدراكه على لسان السيدة بثينة شعبان بإصدار بعض المراسيم التشريعية التي تقضي بزيادة الأجور والرواتب والمعاشات، وتعديل معدل الضريبة على الرواتب والأجور ورفع الحد الأدنى المعفي من الضريبة من الدخل الصافي إلى عشرة آلاف ليرة سورية.

ونقلت السيدة بثينة شعبان تعازى الرئيس السوري في قتلى درعا، وقالت: إن الأسد "لا يهون عليه إرقة قطرة الدماء من الشعب السوري" (؟)، وقالت إن قرارات قيادة الشعب هي توفير أفضل الخدمات للسوريين، ومنها زيادة رواتب العاملين في الدولة وتوفير الموارد الالزامية لزيادة فرص العمل للعاطلين عن العمل.

وأكَّدت السيدة مستشار الرئيس السوري أن سوريا تنوي إعداد مشروع لقانون الأحزاب في سوريا وتقديمه للحوار السياسي والجماهيري ودراسة إنهاء العمل بقانون الطوارئ "بالسرعة الكلية".

كما وجَّهت السيدة بثينة شعبان "التهنئة" إلى الأكراد في سوريا بمناسبة عيد النيروز، طبعاً لم تصدر هذه المراسيم إلا بعد مجرزة درعا! حيث لم تتوقف الأحداث بقتل وجرح المئات من أهلها، ولم يتقبل الشعب السوري محاولات الرئيس الأسد لوقف الغضب الشعبي، وتمادي الإرهاب الأمني السوري في القتل بالرصاص الحي، وإصابة المواطنين المحتجين سلمنياً بعد امتداد الغضب إلى مدن أخرى مثل الصنمين ودمشق والقامشلي واللاذقية وحمص وغيرها، وسقط العشرات من الشهداء والمئات من الجرحى، وتزايدت الاحتجاجات والمطالبة بالحرية ووقف جرائم الأمن ضد الجمهور الأعزل، ولكن السلطة تمادت وأغلقت أسماعها عن الاستجابة للنداءات الدولية التي تدعو إلى وقف القمع والكف عن إطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين.

العالم ومنظمات حقوق الإنسان والسياسيون يقفون إلى جانب الشعب السوري، وينادون بحفظ دمائهم، ولكن النظام البعثي الطائفي في دمشق، لا يبالي ولا يكتثر، بل يغالط ويكتُب ويُدعي أن أهل درعا هم الذين اعتدوا، ويعرض أسلحة يدعي أنهم استخدموها، وأن تدخلات أجنبية من وراء الأحداث، ويكرر السيناريو نفسه الذي كان يقول به الطغاة المخلعون والذين في طريقهم إلى الخلع بدءاً من بن علي ومبارك إلى القذافي وعلى عبد الله صالح!

وإذا كان طبيعياً أن تدافع بثينة شعبان عن النظام الذي تنتهي إليه، فإن من غير الطبيعي أن يدافعوا بعض علماء الدين عن النظام الدموي الإرهابي الظالم الذي قتل وما زال يقتل المحتجين على إجرامه ومظلومه، ولا أدرى ما الذي يدفع مفتى سوريا إلى الانحياز للنظام الدموي الإرهابي، ويصطاف معه في موقف واحد مخز ومشين، ويتوسّع ذلك بكلام لا يقبله من لدية أدنى ذرة من عقل؛ إن المفتى (أحمد حسون) يهاجم فضيلة الشيخ القرضاوي، ويتوسّع قتل المتظاهرين في سوريا بتكرار الأسطوانة المشروخة بأن هناك أيدٍ خارجية تحرض على الفتنة، متناسياً القمع والفساد والاستبداد والطائفية والظلم الاجتماعي!

وإذا كان المفتى يبدو منصاعاً للنظام لأسباب تخصه، فضلاً عن إحساسه أن النظام هو الذي يعينه، وهو الذي يقصيه، فما الذي يدفع رجلاً مثل الشيخ البوطي، بلغ أربيل العمر، وصار قريباً من الآخرة، ومن لقاء الله، ولن يبلغ منه النظام ما يبلغه من المفتى وأمثاله، أن يردد الأسباب نفسها، ويتحدث عن الأيدي الخارجية، وعن الاستقرار، وغير ذلك مما ورد في الأسطوانة المشروخة ذاتها؟

لقد دعَا البوطي السوريين إلى عدم الانقياد وراء الدعوات المجهولة المصدر التي تحاول استغلال المساجد لإثارة الفتنة والفوضى في سوريا.

وحثَّ الدكتور البوطي الشباب السوري في كلمة وجهها مساء الخميس 25/3/2011م، من التلفزيون السوري؛ على التبصر للمؤامرة التي تحاك ضد سوريا(٤)، رافضاً ما يسميه الانقياد إلى المجهول من خلال دعوات تحريضية من جهات لا ترغب في الإفصاح عن شخصيتها، وهو ما يؤكد حسب رأيه سوء غاية هذه الجهات التي ليس لها مراد إلا دمار البلاد وهلاكها.

وقد حكم البوطي على المحتجين بالخيانة والكفر ووصف القسم الأكبر منهم بأنه "لا يعرف جبينه السجود أبداً"، واتهم الكيان الصهيوني بأنه شريك في استثارة ما سماه العاصفة التي تجري، وأضاف محمد سعيد رمضان البوطي قائلاً: "يوم الجمعة الفائت وقبل أن تنهي الصلاة كان الجو داخل المسجد طبيعياً، ولما خرجت من المسجد لاح أمامي صحن المسجد الخارجي وإذا بي أمام أناس كانوا موجودين في باحة المسجد لكن لم يصلوا وكان يتذمرون الساعة التي ينفذون بها الأوامر(؟)، ليست وجوههم وجوه مصلين وليس تصرفاتهم تصرفات ناس يتعاملون مع المساجد هذه ظاهرة رأيتها".

وختم البوطي وهو إمام الجامع الأموي كلامه بالقول: "الإصلاح واجب ومشروع، الإصلاح بدأ ويسير(؟!) ولو توقف نقول لكل حادث حديث، نعم نحن رواد إصلاح ولا يوجد إنسان معصوم ونحن قلنا للسيد الرئيس ونقولها دائمًا نعم طالبنا بالحربيات وطالبنا بأمور كثيرة قد لا تخطر في بال من يطالبون بالإصلاح اليوم وتمت الاستجابة لها..."!

ومشكلة الشيخ البوطي أنه يتصور ما قالته بثينة شعبان هو الإصلاح المزعوم الذي يسير، ونسى أن دماء البسطاء الذين اغتالتهم يد الإجرام النصيري كانت حارة، ولا أحد يعلم بأي ذنب أهرقت، وإذا كان ينفي الإسلام عن الشعب السوري من أجل رئيسه النصيري الذي حكم عليه الإمام ابن تيمية مع طائفته حكمًا هو أعرف الناس به، فهل عدم صلاتهم يسمح كما يزعم فضيلة إمام الجامع الأموي بقتل العشرات وجرح المئات في بقية أرجاء دمشق العمرية (نسبة إلى عمر بن عبد العزيز) وبقية المدن السورية؟

مولانا يعلم جيدًا أن نصف الشعب السوري يعيش منفيًا، غريبًا عن بلاده، ولا يسمح النظام الطائفي الدموي المجرم بدفن من يموت بالمنفى في بلاده، وبلغ به الفجور أن يعتقل من يشاء بلا حساب ولا رقيب لدرجة أن يسجن رجلًا في الثمانين، وشابة صغيرة في السابعة عشرة من عمرها بسبب رأي قيل هنا أو هناك.

إن النظام الذي تخلى عن قضيته الأولى وهي تحرير الجولان، وتفرّغ لتحرير شعبه من الإسلام لا يستحق من شيخ مثل البوطي أن يقف معه ويکفّر من أجله جموع الشعب المظلوم، ويصفهم بأن جيئنهم لا يعرف السجود أبدًا! النظام السوري يزحف على يديه ورجليه من أجل التفاوض مع العدو، ولا يمثل الممانعة بحال، لأن الأسد الكبير كما يعلم الشيخ البوطي إمام الجامع الأموي؛ قد باع الجولان للعدو بثمن بخس، وأعلن سقوطها قبل وصول قوات العدو إليها بسبعة عشر ساعة. – أحيل الفارئ إلى كتاب سقوط الجولان الذي ألفه ضابط المخابرات السوري خليل مصطفى، وصدر عن دار الاعتصام، 1400 هـ – 1980 مـ.

أقول للشيخ البوطي: {وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَّمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ..} (هود: 113)، ثم إن الشعب السوري يطلب الحرية قبل زيادة المرتبات وتخفيف الضرائب!

المصدر: الإسلام اليوم

المصادر: